اسم الدرس : تفسير سورة الكهف (7) | الآيات [83 : 110]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

بسم الله الرحمن الرحيم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أحبائي المشاهدين، أهلًا وسهلًا بكم في الحلقة الأخيرة من مجالس سورة الكهف.

أسأل الله سبحانه وتعالى التيسير، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتم لنا هذه الوقفات مع كتاب الله سبحانه وتعالى، وألا يحرمنا أبدًا من هذا الخير العظيم، فمجالس القرآن هي جنة الله في الأرض.

حقيقةً أن يوفق الإنسان ليتدارس ويقرأ في التفاسير ويقرأ في كتاب الله سبحانه وتعالى ويتدارس مع إخوانه هذه جنة الله في الأرض، هذه المجالس هي التي تحفها الملائكة، هي التي يذكرها الله سبحانه وتعالى فيمن عنده.

كنا طفنا بفضل الله سبحانه وتعالى مع مقدمة في سورة الكهف ثم قصة أصحاب الكهف، ثم بعد ذلك الفاصل ما بين القصتين ثم بعد ذلك قصة صاحب الجنتين، ثم بعد ذلك الفاصل بين القصتين ثم قصة موسى والخضر، ثم وهذا شيء عجيب –وحقيقةً ليس عندي استنباط أو ليس عندي إسقاط على هذا الأمر ويحتاج إلى تدبر، قد يفتح فيه لأحدكم أو يبحث لنا في التفاسير– أني وجدت أنه لا يوجد فاصل بين قصة موسى والخضر وقصة ذي القرنين.

ما بين كل قصة وقصة كان يوجد فاصلًا، لا أريد أن أقول استراحة لكن يوجد نوع من المراجعة للمعاني، والتركيز واستخلاص العبر.

لكن أصلًا سبحان الله قصة موسى والخضر أصلًا قصة مليئة بالعجائب، وتم الانتقال مباشرةً من هذه الرحلة العظيمة في طلب العلم إلى الرحلة في الجهاد، كما قال الإمام البقاعي، أن الرابط بين القصتين، أن هذا عبدٌ صالح طاف الأرض لطلب علم، وهذا عبدٌ صالح، طاف الأرض للجهاد في سبيل الله.

تعالوا نبدأ بإذن الله سبحانه وتعالى، كالعادة أُذَكركم أن القصص أصلًا في سورة الكهف فيها نوع من الغرابة، ولذلك هي أصلًا كانت موطن الاستشكال والسؤال، كانوا يذهبون للنبي صلى الله عليه وسلم يسألوه عنها وكان يوجد إجابات من النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة.

فنحن لا نريد في مجلسنا أن نستطرد كثيرًا ، كما لم نستطرد مع التفاصيل في الخضر والخلافات فيه أو الأحداث أو الأماكن أو مجمع البحرين أو مثل هذه الأماكن، قلنا أن هذه التفاصيل والخلافات موجودة في كتب التفاسير من أراد أن يحقق كلمة أو معنى أو مكان أو زمان فليرجع للتفاسير، وأحاول قدر المستطاع أن أحيل على مراجع ومصادر لمن أراد مثل ذلك.

مجلسنا يركز في الأكثر على المعاني التربوية، المعاني الإيمانية، كيف يتحول القرآن إلى واقع في حياتنا، كيف نستخلص الدروس والعبر ولا سيما من هذه السورة التي على ترجيحات بعض المحدثين للحديث الذي ذكرته في أول مجلس، يستحب لنا أن نقرأها بصورة أسبوعية، فهذه سورة مركزية في موقعها في المصحف، في منتصف المصحف، في تكرارها على مسامعنا، وكثير من الناس يحفظها.

فبالتالي أريد أن يكون **الغرض من وقفاتنا مع سورة الكهف أنها تتحول إلى واقع حياتي في حياتنا.**

تعالوا نبدأ بإذن الله سبحانه وتعالى، قلنا لا يوجد فاصل –بين القصتين–، كنا دائمًا نبدأ بأن نأخذ مثلًا الآية التي قبل القصة ندخل بها، لكن هنا بدأت القصة مباشرة بعد نهاية القصة السابقة، فقال الله سبحانه وتعالى مباشرة بعد ختام قصة موسى والخضر {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا}[الكهف: ٨٣]

بدأت هنا القصة بأن الله سبحانه وتعالى يذكر أنهم ذهبوا للنبي صلى الله عليه وسلم يسألونه، وهذا يرجح الروايات الواردة بأن سورة الكهف نزلت للرد على الأسئلة عن قصة أصحاب الكهف أول قصة، وقصة ذي القرنين آخر قصة، مع السؤال عن ماذا؟ مع السؤال عن الروح التي ذكرت في سورة الإسراء.

بعض المفسرين حاول أن يستنتج وحاول أن يستنبط، فباعتبار أن هذه الرواية صحيحة، وأنهم جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم وسألوه، فمن هم السائلون أصلًا؟ يوجد خلاف، لكن جماهير المفسرين على أن {وَيَسْأَلُونَكَ} هم قريش.

ولكن كيف يكون السائلون هم قريش وهذه القصص كانت مذكورة عند أهل الكتاب، هم الذين عندهم بعض خلفيات عن مثل هذه الأمور؟

فقالوا إن هذه الأسئلة من قريش كانت بنوع من التحريش ونوع من الاستفزاز ونوع من استثارة الأسئلة من أهل الكتاب من اليهود في المدينة، كانوا يبعثون مثل هذه التساؤلات لقريش.

وقيل من النصارى، والموضوع ليس له علاقة باليهود، وهذا ترجيح ابن عاشور، فهو يرى أن أحداث قصة ذي القرنين وقصة أصحاب الكهف حدثت بعد اليهود، وكانت في واقع النصارى، ويرى أن الذين دفعوا لهذه الأسئلة هم النصارى.

أيًا كان كما قلت لكم أني سأكتفي بالإشارة لمواطن الخلاف فمن أراد أن يستزيد يرجع لكتب التفسير، بعض المفسرين وأهمهم ابن عاشور حاول يفكر: لو أن الأسئلة طُرحت مع بعض الروح وأصحاب الكهف وذو القرنين، كانوا في مجلس واحد، فلماذا فصل القرآن في الإجابة؟ ذكر إجابة سؤال الروح في سورة الإسراء والقصتين في سورة الكهف.

وأنا حقيقةً ليس عندي إجابة، وهنا نتعلم أننا ممكن نلتقط التقاطة في القرآن ولا يفتح عليك بالاجابة، ممكن أن يكون الفتح الذي فُتح عليك أنك التقطت هذه الالتقاطة، فيأتي أحد من بعدك أو يفتح على من سبقك وأنت لم تقرأ، ثم تعود وتفاجأ أن هناك من فُتح له في فهم هذا الأمر، وهذا يحدث كثيرًا.

فمثلًا كنت أراجع قريبًا الحكمة من وضع آيات الصلاة في وسط آيات الطلاق في سورة البقرة، وكان عندي استنباطًا معينًا ثم فوجئت بوجود استنباط قريب من هذا ذكره راغب الأصفهاني، ثم وجدت كلامًا رائعًا للمعلمي اليماني في نفس الموضوع، فالإنسان لا يتعجل في تفسير ما يجد من مثل هذه الالتقاطات.

فالخلاصة أن سورة الإسراء أصلًا فيها كلام عن القرآن وفيها كلام عن العلم فجاء هناك {وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}[الإسراء: ٨٥] ، وكان مناسبًا ذكر الرد عن سؤال الروح، أما هنا فيوجد تفصيل للقصص والتي فيها غرابة فناسب أن تأتي القصتين هنا، وابن عاشور له بعض التلميحات لكن من يريد الإجابة فابن عاشور ذكرها في الإسراء وليس الكهف.

إذًا، فهنا **الشاهد** أن القصة بدأت بسؤال، ومهم هنا أننا نسقط ذلك على الواقع التربوي الدعوي، أن الداعية يتعلم كيف يجيب؟ ما هي الأسئلة التي يجيب عليها؟

لا يكون في حالة استفزاز وأن كل سؤال يُسأله يجب أن يعطي إجابة فورية، لا، بل يستعين بالله.

النبي صلى الله عليه وسلم على الروايات المشهورة أنه لما قال أنه سيجيب ولم يستثنِ فتأخر عليه الوحي. فالإنسان يتعلم أيضًا وقبل أن يجيب يرجع يضبط الكلام، فأحيانًا الإنسان وهذا يحدث كثيرًا أن يكون الداعية أو العالم مثلًا في مقام مناظرة أو في مقام سؤال ويُسأل السؤال فيُفاجأ بالسؤال –وأتكلم هنا بالنسبة لنا نحن وليس بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم–، فالإنسان ممكن يتعجل في الإجابة، وهذا خطأ، الإنسان لو لم يعرف الإجابة عليه أن يتأنى ويرجع ويضبط مثل هذا الكلام، وكم من محدث وقع في هذا الأمر، أنه يتعجل وينسب مثلًا حديثًا بالخطأ، فيكون هذا الخطأ سببًا في تضعيف هذا المحدث.

الخلاصة أن الداعية يجب أن يتأنى وتكون الإجابة ليست كما يريدون، سترون الآن {قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا}[الكهف: ٨٣] وليس كل القصة، فكلمة "منه" قيل للتبعيض، أي أني لن أحكي لكم تفاصيل قصته، أنا سأذكر لكم ما يصلح أن يكون تذكرة وعبرة، ما يصلح أن يكون ذكرًا، لأن ***القصص القرآني ليس للتسلية***، وهكذا الداعية، هو لا يتكلم لتسلية الناس، هو لم يأت ليحكي القصص المسلية للناس، لا، هذا ليس دور الداعية، بل يوجد هدف من القصة، هناك مبادئ يريد أن يوصلها، فالقصة وسيلة وليست غاية.

❖ قصة ذي القرنين

{وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ} هنا واضح أنهم مجرد سألوا بالاسم، واضح أن هذا الاسم كان منتشرًا، وأصبح علامة، أصبح لقبًا مشهورًا، مثل فرعون أصبح لقبًا لأن هذا ليس اسمه، **واختلفوا في لماذا لقب بذي القرنين؟**

* هل لأنه وصل إلى المشرق والمغرب.

* هل كان له قرنين من شعر، كان يضفر شعره.

* هل كان له شيء يلبسه أثناء الحرب.

أيًا كان قيل أقاويل كثيرة، ومن أراد الاستزادة يرجع لمثل هذه التفاصيل، فالخلاصة يبدو أنه كان ملكًا مشهورًا، وهكذا دائمًا أخبار الملوك الذين سادوا وانتشروا، يحفها شيء من الغرابة والقصص الغريب. وأيضًا يكون فيها نوع من الكذب والأساطير.

فهم يسألون عن أساطير سمعوها، فذهبوا ليسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم، فربنا سبحانه وتعالى يقول قل لهم {قُلْ سَأَتْلُو} فيها نوع من التأني وما سأقوله يصلح لأن يتلى، {سَأَتْلُو} ويصلح لأن يكون ذكرًا، انظر إلى الإجابة وتأني الداعية، حين يكون الداعية فاهمًا مقام الدعوة، أنه يريد أن يذكر الناس بالله وليس مجرد أنه يحكي قصصًا.

{قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ} ما يصلح أن يكون كما قلنا ليس للتسلية وإنما {ذِكْرًا} عبرة، ويتذكر به الناس الغاية من وجودهم، القضية ليست مجرد أننا نسرد الأحداث وراح وسافر وضربهم وانتصر وموتهم، فهذا ليس الغرض من مثل هذا القصص في القرآن.

إذًا فالداعية يجب أن يحذر فقد يُسأل أسئلة للفتنة، كنت قرأت سابقًا تجميعة جيدة للشيخ حبنكة الميداني لا أذكر اسم الكتاب أظن أنه "أجنحة المكر الثلاثة" كتبه القديمة تكلم فيها عن مكر اليهود، ذكر أن اليهود كانوا يتجمعون ويرسلون للنبي صلى الله عليه وسلم يسألوه، وهذا مذكور في كتب التفسير، في تفسير الطبري وابن كثير وغيره الآثار موجودة لكن كان ميزة الكتاب أنه جمع مثل هذه التساؤلات.

مثلاً يسألوه عن حكم الرجم، إسألوه عن كذا، يرسلوا إليه يسألوه ويقولون فإن أجابكم بكذا فهو نبي وإن أجابكم بكذا فهو ملك.

كما ذكرنا في قصة درس "الهدهد وصدمة الحضارة" أن الملكة لما أرسلت إلى سليمان قالت {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}[النمل: ٣٥] ، انتبه فهناك ناس حين تُسأل أسئلة فتتنازل عن الدين ويتخيل أن هذا التنازل سيجعل الناس يسلمون، بالعكس هذا التنازل يؤكد لهم أنك لست صاحب دين، ويؤكد لهم أنك تراوغ، فقالت –ملكة سبأ– سأرسل إليه هدية فإن قبلها فهو ملك وإن رفضها فهو نبي.

فأحيانًا يوضع الإنسان في اختيارات، فالإنسان لا بد أن يكون على حذر فهناك أسئلة للفتنة فيها أسئلة تعجيز {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} لو أنك تعمدت الإجابة فستكون إجابتك ليست عن علم، فسيعرفون أنك تتقول على الله سبحانه وتعالى، {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} والإنسان يجب أن يتعود مثل هذه الإجابات في بعض القضايا {مِنْ أَمْرِ رَبِّي}[الإسراء: ٨٥] ليس لدي إجابات عنها، هناك أشياء الخوض فيها دخّل المسلمين للأسف في نقاشات لا يملكون فيها شيئًا.

انظر هنا {يَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ} جاءوه متحفزين ومنتظرين الإجابة، فكان الجواب {قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ} والسين فيها نوع من التأني، والتلاوة أي سأتلوا عليكم منه -بعض القصة- وليس كل القصة، {ذِكْرًا} ما يصلح لأن يكون تذكرةً وعبرة وهذا الغرض من القصص القرآن، كما قلنا أنه ليس للتسلية.

انتبهوا معي، سنحاول بإذن الله سبحانه وتعالى نتعلم نلتقط بعض الالتقاطات عند قراءة القصص القرآني، كنت ذكرت هذه الفكرة في أول درس من دروس سلسلة "أصول الانحراف"، كيف نلتقط فكرة الكلمات التي قيلت في القرآن هنا دائمًا ركزوا في بدايات القصة، كيف بدأت؟ ما هي أول كلمة ربنا ذكرها في القصة؟ وما هي أول كلمة تكلم بها ذو القرنين؟

ورأينا في أول قصة أصحاب الكهف أنهم بدأوا بالدعاء، وحاولنا أن نحلل كلمات أصحاب الكهف، وحاولنا أن نحلل الكلمات التي تكلم بها صاحب الجنتين المشرك والكلمات التي تكلم بها المؤمن، وحاولنا أن ننظر في الكلمات التي تكلم بها موسى مع فتاه، هذه الكلمات هي مغرفة لما في القلب، فالكلام يظهر ما في القلب، {عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}[الرحمن: ٤].

أنت حينما تتكلم تبين ما في قلبك، أنت تقول أشهد أن لا إله إلا الله فمعنى التوحيد والتأله لله سبحانه وتعالى، هو في قلبك وتتلفظ به بلسانك فتُشهد الناس على ذلك على هذا المعنى القلبي العميق، فهنا هذه الكلمات لها ما وراءها.

في هذه القصة، الناس كانوا منبهرين مما سمعوا عن ذي القرنين كيف حارب وقتل كذا ودمر كذا، فذهبوا يسألون عن هذا الملك وبطولاته، فتجد أن ربنا بدأ القصة أول كلمة {إِنَّا مَكَّنَّا}! **إياك أن تلتفت إلى الأسباب وتنسى رب الأسباب.**

الناس حين يحكون قصة ويتكلمون في التاريخ ينسون ربنا، عندما تقرأ كتب غير المسلمين في فلسفة التاريخ لا تجد ذكرًا لله أبدًا، بل ويرفضون ذلك، وإذا حاول أحد أن يقدم التفسير الإسلامي للتاريخ مثل عماد الدين خليل من المتأخرين فتجدهم يرفضون أن تذكر ربنا في المعادلة، يرفضون أن تقول مثلًا الله سبحانه وتعالى يقدر كذا، توجد سنن لمعاملة الله سبحانه وتعالى يعامل الأمم المسلمة بكذا والأمم الكافرة بكذا، هو يرفض ذلك.

أما في القرآن فأول كلمة قيلت عن هذا الملك العظيم الذي بلغ المشرق والمغرب، عن هذا الملك الذي كان له من العدة والعتاد والأدوات والأسباب أول كلمة {إِنَّا مَكَّنَّا} التوكيد ونون العظمة ونسبة الأفعال إلى الله، هكذا يتعلم المؤمن أن ينظر إلى التاريخ أن ينظر إلى الأحداث، {إِنَّا} تأكيد نون العظمة، {مَكَّنَّا} التمكين بيد الله التمكين نسب في القرآن إلى الله {كَذَٰلِكَ مَكَّنَّا} في سورة يوسف مرتين {لَيُمَكِّنَنَّ} في سورة النور {إِنَّا مَكَّنَّا} في سورة الكهف، التمكين ينسب إلى الله سبحانه وتعالى.

إذًا، الذي يبحث عن التمكين ويريد التمكين لابد أن يبحث عن مراد الله ليس عن مراده هو، {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ}[النور: ٥٥] فإذا حققنا الدين الذي ارتضاه الله مكن لنا في الأرض، {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ}[الحج:٤١]، فالتمكين أيضًا في سورة الحج نسب إلى الله سبحانه وتعالى.

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}[الكهف: ٨٤] إذًا بدأت الآيات بفعل الله معه وليس بفعل العبد مع الناس، هكذا نظرة المؤمن تنظر إلى اسم الله الأول أنه هو سبحانه وتعالى الذي أعطى هذه الأمور وهو قادرٌ سبحانه وتعالى على أن ينزعها
{تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ}

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} فمن ينظر من الناس نظرة أرضية يجد أن هذا ملك كان عنده من العدة والعتاد، لكن القرآن يقول {وَآتَيْنَاهُ} من العدة والعتاد، الذي ينظر نظرة أرضية سيقول: "هو كان عنده" أما الذي ينظر نظرة قرآنية سيقول "آتاه الله من كل شيءٍ سببا"، سيدنا موسى وهو يدعو على فرعون قال {وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا} [يونس: ٨٨] فهو يعلم أن كل شيء بقدر الله، وأن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على أن ينزع منهم هذا الملك وهذه الأموال وهذه الزينة وقد كان بالفعل.

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} هنا قد يقول أحدهم إذا سمع {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ} إن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء، فيظن أن ذو القرنين أول ما يصل لهم فستنزل صاعقة من السماء تميتهم لأن الله هو الذي يمكن له، هذا الفهم للتمكين خاطئ، **فليس معنى أن الله هو الذي يمكن أنك لا تبذل ولا تأخذ بالأسباب.**

التمكين فعل الله، وهنا قاعدة مهمة: أن فعل الله سبحانه وتعالى في الأرض يكون بطريقتين:

* الطريقة الغير مباشرة وهي طريقة الأسباب.

* وطريقة الفعل المباشر.

غالب الأفعال المطالب بها الإنسان هي طريقة الأسباب التي هي فعل الله الغير مباشر، فأنت مطالب أن تبحث عن هذه الأسباب، وأنت أصلًا مفطور على ذلك، الطفل وهو صغير إذا ضُرب من الخلف يبحث عن سبب الضرب يبحث عن من يحدث أي مؤثر، يبحث عن أثرٍ هذا المؤثر مَن السبب فيه، هذه فطرة في الإنسان يبحث عن سبب الشيء، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى، وهذا من الأشياء التي يستدل بها الإنسان على وجود الله سبحانه وتعالى هذه الفطرة المفطورة فيه.

إذًا {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ} هذا التمكين لم يكن بالفعل المباشر الذي هو الخسف والقصف والتدمير و...، وإنما كان عن طريق إعطاء وإيتاء الأسباب وهو مطالب أن يُفَعِّل هذه الأسباب، أي التمكين كان بتوفير وتسهيل الحصول على هذه الأسباب التي سنتكلم عنها الآن إن شاء الله.

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} الناس تكلموا من هو ذو القرنين؟ ومتى جاء؟ وهل كان مسلمًا أم كافرًا؟ وحدث نقاشات كثيرة، سأذكر المعلومات الأساسية والخلافات سأحيلكم عليها.

هو كان بلا شك ملكًا مسلمًا لأنه هنا يطبق فعل الله سبحانه وتعالى، وقالوا ورد في بعض الآثار أن التاريخ حكى عن أربعة ملوك حكموا الأرض اثنين كافرين واثنين مسلمين، منهم ذو القرنين.

ونقطة اثنين مسلمين واثنين كافرين مهمة بالنسبة لنا في أن سِعة الملك ليست دائمًا دلالة على الصلاح، وأن هناك سننًا قد يأخذ بها الكافر فيُمكن له وقتيًا؛ حتى يأتي أجل هذه الأمة، حين تجد أمة منتشرة ومسيطرة ولا تغيب عنها الشمس فترة من الفترات هذا لا يعني أنها على صلاح، قد تكون أمة على باطل ولها أجل { لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ}[يونس: ٤٩]، سيأتيها أجلها وتنتهي، هناك سنن لسقوط الأمم ولنهوض مثل هذه الأمم.

قالوا من ذو القرنين؟ وأين مكانه وزمانه؟ خلاف طويل، وأقوال كثيرة، عمومًا غالب المفسرين **يقولوا أربعة أقوال في ذي القرنين:**

* أنه الاسكندر المقدوني.

* أنه ملك من ملوك اليمن.

* أنه ملك من ملوك الصين، ومال لذلك ابن عاشور من القصص واستنتج بعض الاستنتاجات.

* أو الله أعلم بمن هو، وأنا آخذ بهذا القول الرابع، أن الله أعلم بمن هو.

هل هو الاسكندر المقدوني؟ وللأسف أنا كنت متعجبًا من انتشار هذا القول وذيوعه ومناصرته، بالرغم أن الاسكندر هو تلميذ أرسطو وهو كان وثني مشرك.

وأنا تعجبت حقيقةً من مدافعة الإمام القاسمي عن هذا القول ومحاولة تزيين هذا القول وأنه رد على كل الشبهات حوله لكن هو قول ضعيف جدًا وحتى الإمام الرازي حاول في الأول لكن قال لن يَسلم لنا

هذا الأمر، أن رجلًا تلميذ أرسطو يكون هو ذو القرنين، بل إني سمعت الطيب بوعزة يقول أن أرسطو صنع للناس وثنين الاسكندر والمنطق الأرسطي.

فهو وثني دمر الناس وعمل لهم نوعين من الطواغيت، طاغوت حسي طغى على الناس وهو الاسكندر المقدوني وطاغوت فكري وهو المنطق الذي ظل مهيمنًا لفترة طويلة حتى تمت زعزعته وإعادة التفكير فيه ونقده.

وقيل: أنه ملك من ملوك اليمن ويوجد كتاب ضخم مليء بالقصص والآثار والنقاشات والتحشية عليه قوية جداً، هو للشيخ محمود راغب الطباخ وهو بتحقيق الشيخ مشهور سليمان، والتحقيق جيد فيه نقاشات طويلة لمن أراد الاستفاضة والأقوال والرد عليها، وفي النهاية الشيخ رجح أنه ملك من ملوك حمير في اليمن، لأسباب لغوية وأسباب في الآثار.

الشيخ السعدي له رسالة ليست منتشرة، وهذا جيد لأنه قيل أنه تراجع عنها، له بعض الآراء في ذي القرنين فيها نوع من التأويلات في الآيات.. كما سيأتي في آخر المجلس مع يأجوج ومأجوج، لأن الرسالة أصلًا في يأجوج ومأجوج وليست في ذي القرنين، لكن جاء الكلام عن السد في آخرها.

الخلاصة: هو ملك مسلم عادل قصَّ الله علينا قصته لنأخذ منها العبرة والعظة، ونكتفي بذلك، فلا نستنكر عدم معرفة من هو ذو القرنين بالتحديد، فالإنسان لن يصل إلى معرفة كل شيء، هذا وهم {وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}[يونس:٢٤].

لقد رأيت مشهد خريطة الكرة الأرضية علي مدار مثلًا مئات السنين أو مليون سنة، وكيف تتغير، خريطة الكرة الأرضية تغيرت أكثر من مرة أصلًا، فكيف تظن أنك مسيطرًا على كل شيء، إذا كان ربنا يقول عن الأنبياء –وليس عن ملك– {وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ}[النساء: ١٦٤] رسل أرسلهم الله سبحانه وتعالى لأهل الارض ونحن لا نعرفهم! فهل تتخيل إحساس الوهم؟!

السيطرة على الزمان والسيطرة على المكان والسيطرة علي التاريخ، هذا وهم من أوهام الإنسان، واعتقادات الإنسان أنه يملك كل شيء.

عذرًا كان هذا استطرادًا لمسألة ذو القرنين ومكانه، ..وكنت أود أن أشير لنقطة أن سعة الملك وانتشار أمة وسيطرتها وهيمنتها ليس علامة علي صحة مبادئها، فلا يقول أحد في وقتنا المعاصر أن هيمنة الأمة الأميركية أو الصينية هذا دلالة على صحة مبادئهم وأنهم على الحق، لا، هذا ليس دلالة على الحق، قد يكون لديهم بقايا دين، بقايا أمور صالحة، عندهم بعض الأخلاق في معاملة سنن الله التي تجعل عمر الأمم يطول، كما في حديث عمرو بن العاص في صحيح مسلم (لا تقوم الساعة إلا والروم أكثر الناس)[1] ، يوجد سنن لمثل هذه الأمور.

{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}[الكهف: ٨٤] قلنا التمكين هنا أن ربنا أعطاه الأسباب، فما معني "سببا"؟ ما معنى {وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}؟

الإمام الرازي له كلمة جميلة جدًا –ونقلها القاسمي–يقول: "ما يُتوصل به إلى المقصود من علم وقدرة وآلة" وهذا من أجمع الكلمات التي قرأتها.

الشيخ السعدي والقاسمي في سورة الكهف مبدعين مع بعض الانتقادات في مسألة الاسكندر عند الإمام القاسمي لكن حقيقة أبدعوا، الإمام القاسمي خصص فصلًا، والشيخ السعدي يفعل ذلك دائمًا في القصص، فصلًا في الفوائد المستنبطة من القصة، مبدع حقيقة، ولولا خشيتي الإطالة كنت قرأته عليكم كله، كل الفصل.

فقال "ما يتوصل به إلى السبب"، لأن السبب مثل الحبل في اللغة، والحبل أنت تمسكه لكي تصل إلى لبئر فتخرج الماء،

[1] [عن المستورد بن شداد:] تَقُومُ السّاعَةُ والرُّومُ أَكْثَرُ النّاسِ. قالَ: فَبَلَغَ ذلكَ عَمْرَو بنَ العاصِ فقالَ: ما هذِه الأحادِيثُ الَّتِي تُذْكَرُ عَنْكَ أنَّكَ تَقُولُها عن رَسولِ اللهِ ﷺ؟ فقالَ له المُسْتَوْرِدُ: قُلْتُ الذي سَمِعْتُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ، قالَ: فقالَ عَمْرٌو: لَئِنْ قُلْتَ ذلكَ، إنَّهُمْ لأَحْلَمُ النّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وأَجْبَرُ النّاسِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، وخَيْرُ النّاسِ لِمَساكِينِهِمْ وضُعَفائِهِمْ.
مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٨٩٨ • [صحيح]

إذًا "السبب" هو شيء معين أنت تمسك به فيصل بك إلى هدف معين، بمعنى لو أنا لي هدف معين وأريد تحقيقه سنسميه "المقصود" وأريد شيئًا يساعدني للوصول فهذا نسميه "سبب".

هذا السبب قد يكون معنويًا –أنا أتكلم في الكلمة عمومًا– قد يكون سببًا معنويًا، قد يكون السبب معارف، كما في {تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ}[البقرة: ١٦٦] –آية البقرة– قيل الأسباب هنا الوُصَل والمعارف.

إذًا "سبب" ما يتوصل به إلى المقصود، ويكون هنا: "من علم" وهذا ورد كثيرًا عن السلف، أظنه ورد عن ابن عباس ذكره الطبري "من علم" وهذا أهم شيء وبُدأ به.

العلم مهم، ابن عاشور كان له كلمة رائعة في قصة سيدنا سليمان في سورة النمل مع ملكة سبأ لما قال الذي عنده علم {قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ}[النمل: ٤٠] فالذي عنده علم كان أفضل من الذي عنده قوة.

قال "ويُتأتي بالعلم ما لا يُتأتي بالقوة" لأن العلم يجعلك توفر في الطاقة والقوة وتعمل شيئًا أكثر إبداعًا.

الخلاصة: "سببًا" ما يتوصل به إلى المقصود من علم، وهنا دنيوي أكثر وديني وقدرة وآلة، إذًا علم وقدرة : تحولك إلى أن تفعل الآلة، لذلك دائمًا العلم والقدرة تعمل نوعًا من طلاقة المشيئة {عَلِيمٌ قَدِيرٌ}[النحل: ٧٠] ، ابحثوا في القرآن عن كلمة {عَلِيمٌ قَدِيرٌ} أين جاء في القرآن اقتران هذين الاسمين، اقتران الأسماء الحسنى مجال تدبر عظيم في القرآن.

إذًا السبب {مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}[الكهف: ٨٤] عنده علم، وطلبوا منه سدًا فهو عنده علم ومعه جنود، سيحول العلم والقدرة ليعمل آلة، يعمل لهم سدًا.

إذًا تحصيل العلم أولًا، وتوفير الطاقة والقدرة ..يجعلك تصنع ما تريده.

نحن نريد أن نصنع دواء لمواجهة كورونا، أنا محتاج أفهم أصل الفيروس وتكوينه وتفاصيله وماذا سيهاجم داخل الجسم، محتاج أفهم هذه التفاصيل، ويكون عندي آلات لكي أنتج الدواء.

إذًا لما أُعطي هذه الأسباب ماذا فعل؟ هل قال يا رب أنت مكنتني فانصرني؟ لا، بل {أَتْبَعَ سَبَبًا} وإن كان كثير من المفسرين قال {أَتْبَعَ سَبَبًا} أي سار في الطريق، وسنأخذ بالقول أن {أَتْبَعَ سَبَبًا} أي: سار خلف هذه الأشياء وحصلها ووظَّفها حتى يبلغ ما يريد.

إذًا {آتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} عنده الأسباب، رتَّبها {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} حتى يصل إلى ما يريد.

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ}[الكهف: ٨٥=٨٦] إذًا هذا الرجل عنده هدف عنده قصد.

قلنا السبب هو ما يُتوصل به إلى المقصود، من علم وقدرة وآلة، سار خلفه، وجمّع الأسباب وله هدف، الأمة الآن، العالم الذي نعيشه اليوم، التقدم المادي الذي نعيشه عنده افتتان بالأسباب، وعنده تحصيل علم دنيوي، وقدرة وآلات، ولكن ما المقصود؟ إلى أين يذهبون؟! لا يعرفون

كمثل رجل يمشي في الصحراء، وله وجهة محددة، وفجأة جاء أحد وأخذ منه البوصلة والخريطة، وتركه، فماذا سيحدث له؟ سيفقد القصد! سيفقد الوجهة!

فهذا ما صار عليه العالم اليوم، لا يعرف وجهته، فيسير بتخبط، مثل التيه الذي كان فيه بني إسرائيل.

هذا هو العالم من غير وحي، مستمر في تحصيل التقدم الدنيوي لكن بدون هدف، بدون وجهة! ماذا تريدون من التقدم الدنيوي؟ نريد الرفاهية، وماذا بعد تحقيق الرفاهية، لا يعرفون!

فظهرت فكرة الإنسانية –الإنسانوية–، وفكرة الحداثة، وما بعد الحداثة، كلما اعتنقوا فكرة أرضية نقضوها بعد فترة وابتدعوا غيرها، فكل فترة تظهر فكرة جديدة لأنهم لا يملكون وجهة، لا يعرفون إلى أين يذهبون، فأصبحت هذه الأمور وبالًا عليهم، أصبح العالم في حالة من النقمة وعدم الرضى، لعدم وجود الهدف، وتجد الدول تدمر بعضها وتحارب بعضها، حرب عالمية أولى وحرب عالمية ثانية، والله أعلم ماذا بعد.

فالخلاصة لا يوجد قصد، هكذا العالم حين يفقد وجهته، الوحي يضبط الوجهة، سورة الحج تكلمت عن القتال والجهاد وهو معنى محوري فيها، وذكرت خطورة فقدان القصد، الحج :القصد، فقدان الوجهة عند المقاتل والمجاهد يدمر العالم.

أن يمتلك الإنسان طاقة وأدوات ولا يملك وجهة صحيحة، هذا يؤدي إلى تدمير في العالم، وهذا بالضبط ما يحدث في عصرنا، لذلك سورة الحج من اسمها "القصد"، وأول إذن بالقتال جاء في سورة الحج {أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا}[سورة الحج: 39]

لماذا تقاتل؟ القضية ليست مجرد القتال لأجل القتال، وتطبيق القوة لأجل القوة، لا، يجب أن يكون لك هدف، لك وجهة، كذلك ذو القرنين كان له وجهة، له أهداف، بمجرد أن وصل...، سنرى كلمات ذي القرنين له أهداف واضحة.

إذًا {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا} ما هذا؟ ظل يمشي وراء الأسباب، لذلك هناك قراءة {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} وقراءة {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} قيل للكثرة، وقيل يركِّب من هذه الأسباب، وقيل سار في هذا الطريق.

{فَأَتْبَعَ سَبَبًا}: ظل يسير ويسير ويسير، حتى بلغ أقصى قدرة بشرية ممكنة عند المغرب، آخر ما يمكن أن يصل إليه ويرى الشمس تغرب أمامه.

إذًا هنا نتعلم من ذي القرنين:

١- أول شيء توظيف كل الأدوات التي يملكها.

٢- ثانيًا توظيف كل الأدوات إلى أقصى نقطة ممكنة.

المشكلة أن هناك من عنده الأدوات لكن لا يوظفها، وهناك من عنده الأدوات ويوظفها لكنه كسلان، فلا يوظفها بأقصى ما يمكن.

سأقول مثالًا بسيطًا:

رجل عنده طاقة حفظ لكنه لا يحفظ، ورجل عنده طاقة حفظ ويحفظ سورة صغيرة، ورجل عنده طاقة حفظ ويحفظ أقصى ما يمكنه حفظه.

رجل عنده طاقة تعلم، رجل عنده طاقة شرح، رجل عنده طاقة حركة، وظف هذه الطاقات في حياتك لله سبحانه وتعالى.

فذو القرنين وظف كل ما يملك من أدوات وأسباب وعلم وقدرة وآلة لتحقيق غاية الجهاد في سبيل الله ونصرة دين الله سبحانه وتعالى، وبلغ أقصى نقطة ممكنة، لم يكتفِ.

فمثلًا كان ممكن أن يقول لو أنا أريد تأمين مملكتي فلست محتاجًا لأصل لمغرب الشمس ومشرق الشمس، فيمكنني أن أقوم بعمل حدود للحماية، كما يعمل الطبيب حين يستأصل الورم safety margin، ممكن أعمل حدودًا لمملكتي ومنطقة آمنة حولها وينتهي الأمر فلا يحتاج أبعد من ذلك.

لكن ذو القرنين بلغ مغرب الشمس، حتى رآها تغرب أمامه في عين حمئة، -أي للناظر-.

وهنا توجد شبهة يثيرها أعداء الإسلام والملحدون، فيقولون وجدنا شبهة في القرآن!

كيف يقول القرآن أن الشمس تغرب في عينٍ حمئة، هذه الشمس التي اكتشف العلم أنها ضخمة جدًا كيف تغرب في عينٍ في الأرض؟

فأنت تنظر إليه باستغراب! هل أنت متصور أن مقصد الآية أن الشمس نزلت وغطست في عين الماء وانطفأت! هل أنت متصور هذا المقصد؟

هذا ما نسميه اللغة العادية، ورغم بداهة الفكرة، فقد كتب فيها كُتبًا كثيرة! على بداهة الفكرة أنا كنت أتصور أنها واضحة، يأتي رجل فيقول لماذا القرآن يقول السماء فوقنا، واكتشفنا أنها دائرية؟

لو القرآن وكلام الناس البشر لا يستعمل اللغة العادية ويستعمل اللغة التي ممكن أن نسميها اللغة المعملية أو اللغة التجريبية أو أيًا كان اسمها، فهذا فساد، لأن الطبيعي والأصل أن التعبير والحديث يكون بحسب مقتضى الظاهر، فـ {تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ} أي أنه رآها فيما يبدو له تغرب في عين النار فالذي ينظر يراها هكذا، وليس المقصود أنها تغرب في العين حقيقة.

كما لو كنت على الشاطئ وقت الغروب فتصف الشمس بأنها تغرب في البحر رغم أنك تعلم جيدًا أن الشمس لا تغرب داخل البحر، ولكنك تصف المشهد الذي رأيته.

المهم؛ {وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ} ووجد عندها ماذا؟ هل وجد كنزًا؟ لا، مثل {بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ}[الكهف: ٩٣] وجد عندها ماذا؟ هل وجد كنزًا؟ لا.

عن أي شيء كان ذو القرنين يبحث؟ ما الذي جعله يذهب إلى مغرب الشمس؟ وما الذي جعله يذهب إلى مشرق الشمس؟ وما الذي جعله يذهب إلى بين السدين؟

هل كان يبحث عن كنوز؟ هل كان مثلًا يحفر أو يذهب للغابات يقطعها ويرسلها دولهم؟ هل كان يبحث عن مناجم يسرقها من القارة الأفريقية؟ هل يبحث عن بترول يستغله، عن مخطوطات؟ يبحث عن ماذا؟!

كان يبحث عن بشر يدعوهم إلى الله! فوجد بغيته، وجد قومًا.

الداعية حين يجد إنسانًا يدعوه إلى الله ويرتفع به إلى مستوى الإنسانية {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}[الإسراء: ٧٠] هذا هو هدف الداعية.

الطمع لما نُسب للمسلمين في سورة البقرة {أَفَتَطْمَعُونَ} تطمعوا في ماذا؟ ربنا يقول لهم {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ}[البقرة: ٧٥] طمع المؤمن يكون في إيمان الناس.

حينما سمع النبي ﷺ {يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}[النصر: ٢] استشعر بقرب أجله، هذه هي وظيفته أن يدخل الناس في دين الله أفواجًا.

فهنا {وَوَجَدَ عِندَهَا} ماذا؟ قومًا، وجد بغيته، وجد ناسًا لكي يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى.

{قُلْنَا} لم يتركه الله سبحانه وتعالى، هنا {قُلْنَا} جعلت بعض المفسرين يتساءلون، هل هو نبي؟ وهذا قول ضعيف مذكور، فقالوا {قُلْنَا} كيف كلمه الله؟

الأمر بسيط، قيل إلهامًا لأن النبي ﷺ أخبر أن الأمم السابقة كان فيها محدثون، وقيل كان على لسان نبيٍ معه كما كان مثلًا في قصة طالوت وجالوت أنه ليس دائمًا النبي هو الذي يحارب، فنبيهم هو الذي قال لهم {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا}[البقرة: ٢٤٧] ، إذًا قد يوجد نبي برسالة وفي نفس الوقت يوجد قائد للجيوش -غير النبي-، وقيل أن هذا الفصل كان معروفًا، فقد يكون {قُلْنَا} أي: على لسان النبي، وقيل غير ذلك.

{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ} انتبهوا فالكلام كله إلى هنا أفعال من ذي القرنين، كلام من الله سبحانه وتعالى وأفعال من ذي القرنين.

{قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا}[الكهف:٨٦] خيره الله سبحانه وتعالى بين أن يقتلهم لأنهم كفار محاربون، أو يستمهلهم ويأسرهم ثم بعد الأسر يعرض عليهم الإسلام ويدعوهم إلى الهدى.

{قَالَ} هنا سيتكلم ذو القرنين، انتبهوا لنرى فكر الرجل، نحن رأينا أفعاله، وفهمنا طريقته أنه يأخذ بكل الأسباب، أنه يوظف كل الأدوات لنصرة الدين، أنه يبذل أقصى طاقة بشرية ممكنة، أنه لا يدخر جهدًا لنصرة هذا الدين، أنه يبحث عن التمام، مغرب الشمس أي يصل لأقصى مكان، نحن نستكشف هذه الشخصية، شخصية غريبة لم تذكر إلا في سورة الكهف، فلو أردنا أن نستكشفها، ليس عندنا غير هذه الآيات، وبعض الآثار.

إذًا سيتكلم ذو القرنين، سنفهم تفكيره، هل هو ملك مثلًا مهتم بنسف الناس وتدمير الناس ويقول لا أنا سأبحث عن الكنوز؟ عن ماذا يبحث؟

{قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ} {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ} الدنيا عنده واضحة، الناس مقسمة كما في أول سورة البقرة، قيمة أنك وأنت ذاهب للمدينة لأول مرة تنزل سورة البقرة، قيمة وضع سورة البقرة في أول المصحف بحيث أن أي أحد يدخل الإسلام جديدًا يقرأها، أن سورة البقرة تقول لك الدنيا مقسمة واضحة، عندما تشاهد الكرة الأرضية من فوق مقسمة إلى قارات، ودول، وأجناس، وسلالات، وهناك تقسيمة على الإيمان! كيف يتعاملون مع الوحي؟

فذو القرنين عنده التقسيمة واضحة، ليست على أساس أن الأبيض نأخذه والأسود نستعبده، أو أن الأغنياء سنصاحبهم والفقراء سنموتهم.

التقسيمة على الإيمان، أما من ظلم أي بالكفر لأنه ظلم نفسه أولًا.

ذو القرنين مفهوم الظلم عنده واضح، الشرك ظلم عظيم، {قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ} أي من أشرك وكفر وأصر على الكفر، هنا العلماء قالوا: "وأصر" من أين جاءوا بكلمة "أصر على الكفر"؟ قالوا لأنه قال مقابلها {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ...}، وهنا {قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ} قالوا التسويف في {فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ} يفيد أنه أعطى له مهلة، عرض عليه الإسلام وتناقش معه وكلمه ثم أعطاه المهلة ولكنه أصر على الكفر، فهذا ظالم.

هنا تجد الأفكار الرومانسية الوردية الغير الواقعية لبعض الناس فيقولوا "حتى لو كان ذلك فلا يقتله"، هذا تفكير خاطئ، لماذا لا يقتله؟! أنا أنشر دين الله سبحانه وتعالى وهو يرفض نشر هذا الدين، هذه تصرفات رومانسية وغير واقعية.

{قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ} أصر على الكفر بعد البيان {فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ} وهو أخذ الإذن من الله سبحانه وتعالى بذلك {ثُمَّ يُرَدُّ} انظر! ذو القرنين عنده الأمور واضحة، الإيمان والكفر عنده واضح، عرض الدين واضح، فالذي أصر بعد ذلك هو الذي اختار لنفسه.

ذو القرنين يعلم أن هذه الدنيا لا تساوي شيئًا في الآخرة، فمهما عُذِب في الدنيا لن يكون هذا شيئًا بالنسبة إلى عذاب الآخرة، فقال { ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا}

{عَذَابًا نُّكْرًا} ماذا يقصد ذو القرنين هنا؟

عذاب إذا رآه الإنسان قد يستنكره ولكنه عذاب حق، ولكن من شدة العذاب قد يستنكره، فكأن ذو القرنين يريد أن يقول: "أنا يارب مهما عملت فيهم هذا يارب لن يكون شيئًا في عذابك"، وفي هذا تخويف للناس لكي يتوبوا إلى الله سبحانه وتعالى.

{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ} أي بعد عرض الإيمان عليهم

{وَعَمِلَ صَالِحًا} هو يفهم أن الإيمان له تبعات من الأعمال الصالحة.

انتبه إلى كلام ذي القرنين لترى العقلية الناجحة في الإدارة، مع العذاب بدأ بأنه سيعذب الأول وبعدها ذكر العذاب الأخروي، لكن مع الجزاء بدأ بالجزاء الأخروي وبعدها قال {وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}[الكهف:٨٨].

الإنسان في الخوف طبيعته أنه يخاف من الشيء الملموس المحسوس الأكثر قربًا، خوفه من النار قد يكون أقل –خصوصًا للذي لم يتمكن الإيمان من قلبه– من خوفه من الشيء المحسوس في الدنيا، فهو يريدهم أن يؤمنوا، فالتخويف بالشيء المحسوس يكون أكثر تأثيرًا بالنسبة للإيمان.

أما من اختار الإيمان، فذو القرنين يرتب له قضية الإخلاص، أنت آمنت بالله، فتنتظر الجزاء من الله سبحانه وتعالى، أما أنا ساقول لك من أمري يسرًا لكن أنت في الأصل تؤمن لتنال جزاء الحسنى من الله سبحانه وتعالى.

{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا}[الكهف: ٨٨=٨٩] إذًا ذو القرنين رجل له مقصود له هدف.

الناس الذين يقولون نريد تمكينًا، لماذا تريدون التمكين؟ الناس الذين ما أن يسمعوا كلمة {إِنَّا مَكَّنَّا} {وَلَيُمَكِّنَنَّ} {مَّكَّنَّاهُمْ} هل المقصود عندنا واضح ومحدد؟

فذو القرنين كان هدفه نشر التوحيد في الأرض، هل نحن هدفنا توظيف كل الأدوات التي نملكها ليُوحَّد الله سبحانه وتعالى؟ ليعرف الناس الله، ليذكر الناس الله، ليعبد الله في الأرض، هل هذا هدفنا؟ هل هذا المعنى واضح عندنا؟ هل كل الإمكانيات التي يعطينا الله سبحانه وتعالى إياها نوظفها لننشر التوحيد في الأرض؟ أي هل المقصد عندنا واضح؟

انتبهوا، ربنا ذكر مجموعة من الأسباب، فالتمكين هو عبارة عن ماذا؟ هو جامع مثل هذه الأسباب بصورة تراكمية، فلا يوجد ما يسمى لحظة التمكين النهائية، لأنها صورة تراكمية التمكين تراكمي.

ما معنى التمكين تراكمي؟ أي أنك مثلًا في منطقتك اليوم عرفت تقيم الصلاة هذا جزء من التمكين، يقول الله {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ..}[الحج:٤١] وجهتهم واضحة، إقامة الصلاة جزء من التمكين. جمع الزكاة جزء من التمكين. نشر الدعوة جزء من التمكين.

فلا يوجد ما يُدَّعى أن التمكين all or non، أن التمكين إما موجود أو غير موجود –القاعدة التي كنا تكلمنا عنها وكثير من الناس للأسف يفكر بها–، التمكين ليس كذلك، أنت ممكن يمكن لك في بيتك، في منطقتك في مسجدك، نعم فكل ما تستطيعه وظفه لنشر هذا الدين، نحن عندنا تصور أن التمكين لحظي ويأتي بفعل الله المباشر، لا، أنت عليك فعل كل وأقصى ما تستطيعه.

لو تذكرون في أول السورة تكلمنا عن كلمة "أحسن عملًا" وهي من الكلمات التي تكررت، فبالنسبة لأحدهم أحسن عملًا أنه ليس عنده أسباب مثل أصحاب الكهف، وبالنسبة لآخر أحسن عملًا أنه يوظف كل الأسباب التي عنده، وبالنسبة لآخر أحسن عملًا أنه يطلب العلم، وبالنسبة لآخر أحسن عملًا بالنسبة له أنه يدعو إلى الله، مثل المؤمن الذي كان مع صاحب الجنتين، فالسورة منوعة {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا..}[العنكبوت: ٦٩]، سورة منوعة في "أحسن عملًا".

دعونا لا نضع أنفسنا دائمًا في نقطة واحدة ونقول أن هذا بالنسبة لي هو ثغري. من قال ذلك؟ الدين واسع! وهذا من رحمة ربنا سبحانه وتعالى.

قرأت كلمة جميلة جدًا –أظن أنها للنابلسي– يقول فيها: جعل الله عدد الطرائق –أي للوصول إليه– بعدد أنفاس الخلائق، أي أنه يريد أن يقول لك أن جملة "لا أعرف كيف أصل إلى ربنا" غير موجودة؛ فأحدهم يمكن أن يعمل { أَحْسَنُ عَمَلًا} ببر والدته، والآخر بكذا وكذا، وكلٌ بما يستطيعه {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ}[التغابن: ١٦].

وانتبهوا إلى الفاء في {فَأَتْبَعَ سَبَبًا} التي تدل على الاستجابة السريعة.

ثم أنهى هذه المهمة –رجل ذهب إلى مغرب الشمس، هل أنت متخيل؟!–؛ فليرتاح إذًا؛ فجاءت {ثُمَّ} التي تدل على الفاصل الزمني حتى العودة {أَتْبَعَ سَبَبًا}، فإذا فرغت فانصب.

ذو القرنين ما يميزه المداومة، هل تعرفون حديث النبي صلى الله عليه وسلم الجميل جدًا: (صلاة في إثر صلاة لا لغو بينهما كتابٌ في عليين)[2] .

ولذلك بعض الشراح أسقطوها على أنك ممكن تصلي الفجر وتمكث في المسجد تذكر الله إلى أن تصلي الضحي، فتكون قد صليت صلاتين لا لغو بينهما فلك كتاب في عليين.

فتخيل إذًا جهاد في إثر جهاد!

إذا كان صلاة في إثر صلاة في هذا الوقت كتاب في عليين، فتخيل رجلًا طوال حياته عمل في إثر عمل، دعوة في إثر دعوة، علم في إثر دعوة، دعوة في إثر عباده...إلخ.

تخيل أن هذه هي حياة أحدهم –مع ما يحتاجه من طلب المال الحلال–، يعيش حياته كلها في هذا المحراب الأرضي ينتظر لحظة خروج الروح لتصعد إلى السماء.

ذو القرنين أيضًا ما يميزه الاستمرار حتى الوصول للهدف، عدم تضييع الأوقات، هذه الأشياء التي كانت في القصة الأولى.

[2]]عن أبي أمامة الباهلي [:صلاةٌ في إثرِ صلاةٍ لا لَغْوَ بينهُما كِتابٌ في علِّيِّينَ
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٣٨٣٧ • حسن •أخرجه أبو داود (١٢٨٨) واللفظ له، وأحمد (٢٢٢٧٣) •

وبعد ذلك: {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} الاستمرار {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ} هذا الرجل لا يكل، وصل لأقصى مكان ممكن في المغرب ثم وصل لأقصى مكان ممكن في المشرق!

الذي يصلي ركعتين قيام ويطيل فيهما ويكون في بيته –في ظروف مريحة– إذا قلت له نصلي دعنا ركعتين أخرتين يتعب ويطلب التخفيف فيهما، الذي يعمل عملًا كبيرًا وصعبًا في الدين ، تجده يريد أن يرتاح بعدها لفترة طويلة

تجد من ينتهي من الامتحانات يقول: أنا أحتاج أرتاح لمدة سنتين

أما ذو القرنين فتجده وصل حتى مغرب الشمس ثم وصل حتى مشرق الشمس، {حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ} ماذا؟ أهدافه: {عَلَىٰ قَوْمٍ}

{وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا}[الكهف:٩٠] في قمة التخلف الدنيوي، ليس لديهم حتى وسيلة للاحتماء من الشمس، قمة البدائية!

ما معنى {كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا}[الكهف:٩١]؟

قيل {كَذَٰلِكَ} أي أتبع سببًا حتى بلغ مطلع الشمس كما أتبع سببًا فبلغ مغرب الشمس

وقيل {كَذَٰلِكَ} كما فعل مع القوم في المغرب فعل مع القوم في المشرق، أي منهجه واحد، وليس مثلًا لما وجد قومًا ضعافًا كان عنده منهج ولما وجد غيرهم أقوياء كان عنده منهج آخر، بل كان المنهج ثابتًا.

ليس مع الدول القوية منهج ومع الدول الضعيفة منهج آخر ، لا، المنهج ثابت، أنه يعرض التوحيد، من آمن له جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرًا ، ويعذب المصر على الكفر.

{وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا} ما معنى {وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ}؟ على ماذا تعود هذه الهاء؟ أي بما لدى ماذا؟

* **قيل** بما لدى ذي القرنين

* **وقيل** بما لدى مطلع الشمس، وهذا قول بعيد، ومعناه: قد أحطنا بالمكان الذي هناك خبرًا، فإذا كان ذو القرنين اكتشف للتو المكان وكان متعجبًا، فالله يعلم كل شيء، يعلم تفاصيل الأشياء، فهذه إشارة إلى أن علم الله فوق علم البشر.

والقول الأشهر، وله دلالة مهمة بالنسبة لنا حتى يستحضر هذا المعنى كل من يعمل في الدين: {أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ} أي بكل ما لدى ذو القرنين من كل عتاد وعده وآلة وجنود، كل شيء مع ذي القرنين يعلمه الله.

ما معنى هذا؟ هل معناه التكريم أم أن معناه التخويف؟

قيل معناه التخويف، فلا تظن لأنك انتشرت وصرت معروفًا وملكًا كبيرًا أو صرت داعية مشهورًا أو صرت عالمًا = أنك غير مراقب، فكل كلمة تقولها محسوبة، والذي رفع الإنسان قد يخسف به الأرض، فالدوام لله سبحانه وتعالى.

أحيانًا الإنسان في نشوة الانتصارات ينسى أنه مراقب، وينسى أن كل كلمة يتكلمها وكل منشور يكتبه وكل فعل يفعله فهو تحت أمر الله سبحانه وتعالى، { وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}[الإسراء: ٨٦] هذه قيلت للنبي صلى الله عليه وسلم، تخيل!

فلا تتصور أنك قد ضمنت العلم الذي في صدرك، فقد يسلب في لحظة! فيجب على الإنسان أن يستحضر دائمًا عملية المراقبة، وخاصة في نشوة الانتصارات ونشوة الشهرة.

فبعد أن بلغ ذو القرنين مغرب الشمس ومشرق الشمس استحضر هذا المعنى

وقيل {أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا}[الكهف: ٩١] أي بما لديه من إيمان وتقوى وصلاح أهله لأن يختاره الله سبحانه وتعالى في هذا المكان فـ {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}[الأنعام: ١٢٤] والله أعلم حيث يجعل العلم ويجعل الدعوة ويجعل التمكين، **الله سبحانه وتعالى يعطي هذا الدين لمن يحب ويعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب**

أنهينا الرحلة المغربية والرحلة المشرقية، نأتي للرحلة التالية، ماذا سيفعل ذو القرنين؟ هل سيرتاح؟

لا، بل {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا}، وهذا مثل مدخل قصة سيدنا موسى، نفس البداية، هناك -في قصة موسى- في العلم ، وهنا -قصة ذو القرنين- في الجهاد، والنفير يذكر في كليهما، يذكر في العلم ويذكر في الجهاد، سيدنا موسى {لا أبرح حتى أبلغ...} {فلما بلغا...} {فلما جاوزا...}، هنا ذو القرنين مباشرة {فأتبع سببًا} {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} {ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا} توظيف كل الإمكانيات وكل الطاقات لهدف واحد هو نشر التوحيد في الأرض.

{ثم أتبع سببًا حتى إذا بلغ بين السدين} جبلين كبيرين جدًا، ماذا وجد من دونهما؟ هل وجد من دونهما كنزًا؟ لا، بل {وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا} وجد بغيته، قومًا ليدعوهم.

{وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا} ما هي مواصفاتهم؟ هل هم أغنياء جدًا؟

هل وجد قومًا متقدمين للغاية، فقال: سآخذ هذه البلاد وأسيطر عليها وأملّكها لنفسي؟

{وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا}: هل أنت متخيل؟! أنت ملك، وذهبت لكي تغزو بلدًا ما، وأنت متأمل، ففوجئت بأن أهل هذه البلد لا يستطيعون أن يقولوا كلامًا مفهومًا! لا حول ولا قوة إلا بالله! إذًا، ما الذي سأستفيده من هذه البلد؟! هل لديكم مالًا؟

حسنًا، سنحاول أن نجد مترجمًا، أو سنتكلم معهم، أو هو كان عنده علم ويتكلم بكثير من اللغات، أيًا كانت الأقوال عن كيفية كلامه معهم.

{يا ذا القرنين} نحن واقعون في مشكلة، عندنا يأجوج ومأجوج المفسدون في الأرض.

أي أن لديكم مشاكل أيضًا! لو كان ملكًا آخر لقال: ألا يكفي أني جئت إليكم ووجدتكم بدون تقدم، لا تعلمون كيف تتكلمون، وفوق ذلك لديكم مشاكل وعدو شرس! فما شأني أنا؟!

أما ذو القرنين قال: أتيت لكي أنشر التوحيد، أتيت لأنشر العدل، أتيت لأقيم العدل وأمنع الظلم، هذه هي أهداف المؤمن؛ فلا يمكن أن يقول: وما شأني أنا؟ ما الذي سأحصل عليه؟.

هل أنت متخيل لو أن الدول الاستعمارية ذهبت لأماكن ليس لديهم من الشمس سترة {لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلا} ما الذي سيفعلونه؟

هذا ليس تخيلًا، بل حدث بالفعل، ما الذي فعلوه في أفريقيا؟ شحنوا ملايين من الناس بالسفن –دون أن يهتموا بموتهم– على الدول واستعبدوهم، وأخذوا كل الثروات الأفريقية وسرقوها، ووضعوا نظامًا ديكتاتوريًا تابعًا لهم وعميلًا لديهم؛ لكي لا تتفوق هذه الدول ولا تتعلم، هكذا فعلوا!

انظروا إلى الجهاد الحق لنصر الدين، انظروا إلى الإسلام الحق، وانظروا إلى سيطرة المبادئ الدنيوية –وهي ليست مبادئ– بل سيطرة الأفكار الدنيوية على الناس، حينما يكون {وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ}[البقرة: 96] حينما ينتشر الطغيان المادي، ويكون أهم شيء هو تحصيل المال، فيكون الإنسان بالنسبة له مجرد رقم. كم يساوي هذا الإنسان العبد؟ فليأتي ويعمل عندي في المصانع عوضًا عن جلوسه في أفريقيا! فليعمل عندي في مصانع ألعاب الأطفال ومصانع الشوكولاتة لكي يستفيد الأطفال من هذا العبد، فيتحول إلى آلة أوفر من الآلة.

هكذا يتعاملون، ولطالما سرقوا ونهبوا، مهما ادعوا وتكلموا عن حقوق الإنسان؛ فهذا وهم.

التاريخ يفضح هؤلاء، حينما ترى ماذا فعلت فرنسا في مالي وفي الجزائر، وماذا فعلت إيطاليا في ليبيا، وماذا فعلت أمريكا في الدول التي دخلتها –في العراق وأفغانستان–، انظروا ماذا فعل هؤلاء المجرمون؛ حتى يكون الأمر واضحًا لدينا!

لكن انظروا ما الذي فعله ذو القرنين، ذهب إلى مغرب الشمس، ولم يسيطر عليهم، بل تركهم -أي أقرهم- على ملكهم؟

وهكذا يفعل الإسلام، يقر الملك على ملكه إذا أسلم؛ **لأن القضية هي نشر التوحيد ونشر الإسلام في الأرض، وليست القضية نهب ثروات ولا سيطرة على البلاد، بل نشر التوحيد في الأرض.**

حينما تقرأ قصة سيدنا سليمان، وما الذي فعله مع ملكة سبأ في آخر القصة، تجد أن الناس منتظرة في آخر القصة أن يتزوجها، ويذهب لكي يسكن هناك، لكن لا، القضية أن تؤمن الملكة، وأن تؤمن البلد؛ فهذه هي النهاية السعيدة عند المؤمن: أن يؤمن الناس.

فتخيل رجلًا ذهب إلى بلد {لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا}، وعندهم عدو، كيف سيتصرف؟ كيف سيساعدهم؟ لن يقول ما شأني أنا، بل سيساعدهم ويقف بجوارهم.

{قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ}: حتى اسمهم مخيف أصلًا!

وإن كان الإمام الطبري قال: سيفسدون، -هذا ملمح فقط. من يريد أن يحقق القول يجد أن هناك خلافًا- لكن الجمهور على أن {مُفْسِدُونَ} أي: كانوا يفسدون، ولا زالوا يفسدون.

الطبري قال سيفسدون؛ لكي يربطها بأحداث آخر الزمان.

{إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ} انظر إلى هذا التفكير، هذا التفكير المنتشر، أنه قد جاءهم ملك، ومعه جنود؛ فلابد أنه يريد مالًا {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا} أي نعطيك مالًا.

قيل في قراءة أخرى صحيحة: {خراجًا} أي عطاءً سنويًا، أم نعطيك المال دفعة واحدة؟

{فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} نعطيك مالًا..

عالم الملك وعالم السياسة لا يعترف ببعض المبادئ، لا يعترف بالصدق؛ لذلك لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم -والآن يقيم دولة في المدينة ويحارب- قال: هل يغدر؟ هل من غدر ؟ قال: لا. فتعجب هرقل كيف أن ملكًا لا يستعمل الغدر في السياسة! كيف ذلك؟! لابد أنه نبي.

أي أن ملكًا ينشر الدولة ويتوسع ولا يغدر؛ فلابد أنه نبي.

أسئلة هرقل مميزة، لو تقرأون الأحاديث في البخاري تجدون أنه سأل أسئلة مميزة؛ فهو يريد أن يعرف إن كان محمد نبيًا أم ملكًا، كما ذكرنا أن اليهود كانوا يسألون أسئلة ليعرفوا بها إن كان ملكًا أم نبيًا،

وكذلك أهل الباطل يعرفون الصادق من الكاذب، فيكون لديهم أسئلة وعروض، من يقبلها لا يكون صاحب حق.

قالوا: {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا}؛ لم يكونوا مستوعبين أن هناك من يفعل هذا لوجه الله! لم يكونوا مستوعبين أن يأتي أحدهم ويقطع كل هذه البلاد؛ لكي يؤمنوا ولكي يساعدهم!

فإن كان الكلام في المغرب والمشرق عن الإيمان والكفر، هنا الموضوع عن مساعدته لهم، عن وقوفه بجوارهم ليصرف عنهم الظلم، هذه هي النقطة الأولى.

قالوا: {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا}، وهذا التفكير -للأسف- هو التفكير الذي تفكر به الدول العربية، آتنا بشخص، ونحن نعطيه أجرًا ليقوم بالأمر، لم لا تتعلمه أنت؟!

نريد أن نؤسس جامعة ما، فنقول: آتونا بأشخاص لتأسيس هذه الجامعة.

فلم لا نتعلم كيفية صنع هذه الآلات؟ لا، بل نأتي بأحد من أي دولة -من الصين أو من الهند أو غيرها-، ونسأل عن تكلفة قيامه بالأمر ونطلب إحضاره..،

هذا التفكير هو تفكير الكسالى، تفكير المتأخرين.

بل يجب أن أتعلمها! أنا أحضر المدرب، أحضر المعلم، أحضر من يشرح لي؛ إلى أن أتعلم، ثم أكون قد امتلكت مثل هذه الأدوات بنفسي.

ففكرة أن أدفع لك مالًا لكي تعمل لنا، هذا التفكير يدعو إلى التأخر، فذو القرنين قال لهم لا {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ}، هو في البداية قال لهم مثل رد سيدنا سليمان، "أتمدونن بمال؟"[النمل: 36] فذو القرنين قال لهم {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} أنا لا أريد المال، هل أنت متصور أنني جئت لأجل المال؟ التمكين الذي آتانيه الله أعظم بكثير، أنا جئت لنشر التوحيد وإقامة العدل في الأرض.

{مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ} انتبهوا هنا أيضًا نقطة مهمة، هؤلاء الناس كان لديهم الفكرة لكن لم يكن لديهم القدرة، بمعنى أنهم قالوا له اعمل لنا سدًا {فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا} لم يقل لهم الفكرة غلط، فالفكرة التي قالوها صحيحة، لكن كانت مشكلتهم في كيفية تطبيقها.

فأنت أحيانًا تملك فكرة، فابحث عن من يساعدك في تنفيذ الفكرة أو يعلمك كيف تنفذ الفكرة، لكن **لا تدع الفكرة تموت**.

هذه الفكرة محورية، لماذا هي محورية؟ لو تذكرون في بداية مجالس سورة الكهف قلنا أن سورة الكهف تنجينا من ماذا؟

من أكبر فتنة، فتنة الدجال أعظم فتنة في التاريخ، وأول عشر آيات أو آخر آيات –على الخلاف– تنجي من فتنة الدجال، كيف سيحارَب الدجال في آخر الزمان؟

انتبهوا هنا للإشارات فالدجال سيواجَه وسيحارَب، ينزل عيسي عليه السلام ويقتله وأيًا كانت طريقة القتل المذكورة في الروايات، إذًا كان حل الدجال الاعتصام بالإيمان ثم المواجهة، انتبهوا معي الاعتصام بالإيمان انتظار القائد والمواجهة، أول ما يموت الدجال ما الذي يحدث؟ ربنا سبحانه وتعالى يقول لعيسى عليه السلام –وعيسى هو الذي سيقتل الدجال–: "إن لي عبادًا لا يَدان لأحد بقتالهم"، لا يستطيع أن يقتلهم أحدًا، "حَرِّز عبادي إلى الطور"[3].

[3] ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إلَيْهِ عَرَفَ ذلكَ فِينَا، فَقالَ: ما شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ، حتَّى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عليكُمْ، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فأنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وإنْ يَخْرُجْ ولَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، واللَّهُ خَلِيفَتِي علَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إنَّه شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بعَبْدِ العُزَّى بنِ قَطَنٍ، فَمَن أَدْرَكَهُ مِنكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إنَّه خَارِجٌ خَلَّةً بيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يا عِبَادَ اللهِ فَاثْبُتُوا، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وما لَبْثُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ،

هناك مشاكل حلها وضع السد وليس المواجهة، توجد مشاكل في حياتك ليس حلها المواجهة، فيجب أن نعرف أن هناك فتنًا حلها المواجهة وهناك فتن حلها أنك تضع بينك وبينها سدًا.

وكما ذُكر يأجوج ومأجوج هنا آخر قصة في السورة، فأيضًا يأجوج ومأجوج في آخر الزمان سيأتون بعد الدجال، وسبحان الله كما كان الحل مع يأجوج ومأجوج السد في القصة سيكون الحل في آخر الزمان أن يذهبوا ويتجمعوا –المؤمنون– في مكانٍ آمن، يبتعدوا عنهم، وربنا سبحانه وتعالى ينزل عليهم العذاب القدري.

وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، فَذلكَ اليَوْمُ الذي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَومٍ؟ قالَ: لَا، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللهِ، وَما إِسْرَاعُهُ في الأَرْضِ؟ قالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي علَى القَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فيُؤْمِنُونَ به وَيَسْتَجِيبُونَ له، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عليهم سَارِحَتُهُمْ، أَطْوَلَ ما كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عليه قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عنْهُمْ، فيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ليسَ بأَيْدِيهِمْ شيءٌ مِن أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بالخَرِبَةِ، فيَقولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ، يَضْحَكُ، فَبيْنَما هو كَذلكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ علَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ منه جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فلا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حتَّى يُدْرِكَهُ ببَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ منه، فَيَمْسَحُ عن وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بدَرَجَاتِهِمْ في الجَنَّةِ، فَبيْنَا هو كَذلكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إلى عِيسَى: إِنِّي قدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَانِ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلى الطُّورِ وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ علَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فيَقولونَ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حتَّى يَكونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِن مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ اليَومَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهِمُ النَّغَفَ في رِقَابِهِمْ، فيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الأَرْضِ، فلا يَجِدُونَ في الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى اللهِ، فيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ منه بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَومَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ، حتَّى أنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبيْنَا هُمْ كَذلكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعليهم تَقُومُ السَّاعَةُ. 7484- [111-...] حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ، حَدَّثَنَا عبدُ اللهِ بْنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ يَزِيدَ بنِ جَابِرٍ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قالَ ابنُ حُجْرٍ: دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِما في حَدِيثِ الآخَرِ، عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ يَزِيدَ بنِ جَابِرٍ، بهذا الإِسْنَادِ، نَحْوَ ما ذَكَرْنَا. وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ: لقَدْ كانَ بهذِه مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حتَّى يَنْتَهُوا إلى جَبَلِ الخَمَرِ، وهو جَبَلُ بَيْتِ المَقْدِسِ، فيَقولونَ: لقَدْ قَتَلْنَا مَن في الأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَن في السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بنُشَّابِهِمْ إلى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عليهم نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا وفي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ: فإِنِّي قدْ أَنْزَلْتُ عِبَادًا لِي، لا يَدَيْ لأَحَدٍ بقِتَالِهِمْ.

الراوي : النواس بن سمعان الأنصاري | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم | الصفحة أو الرقم: 2937 | خلاصة حكم المحدث : [صحيح]

نحن قلنا أنه يوجد الفعل الغير مباشر والفعل المباشر، فيرسل الله عليهم النغف وتملأ الجثث الأرض ويملأ نتنهم الأرض، فيجأر عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين إلى الله فالله سيرسل الرياح والمطر وينظف الأرض من نتنهم، ويمكنكم الرجوع للتفاصيل من كتب للمعاصرين مثل "إتحاف الجماعة" للتويجي في أحداث الساعة، والشيخ مصطفي العدوي كتب في أشراط الساعة، ويوسف الوابل أو المتقدمين.

إذًا هنا هم كان عندهم الفكرة، وكانت فكرة صحيحة. فطلبوا وضع السد، فقال لهم {فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} هنا القرطبي له كلام بديع في مسألة الوالي ومتى يأخذ أموال الناس، وأنه ليس من حقه أن يستحل أموال الناس بلا حدود، ويعمل فيها ما يشاء، لا، فهذا الأمر له ضوابط وكلام ابن تيمية الرائع في السياسة الشرعية أن الأمر ليس مفتوحًا.

{فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ} أريد منكم القوة {أجعل بينكم وبينهم ردمًا * آتُونِي} قَطَع الحديد {زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا} هنا المفسرون تكلموا كثيرًا عن التفاصيل وكيف صار سبيكة والنحاس المذاب ووضعه مع الحديد وكيف يكون متينًا وكيف أصبح أملسًا.

{فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وما ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبا} هذه النتيجة النهائية للسد.

ليس الأصل في القرآن سرد التفاصيل، وإنما الأصل فيه الإيجاز وكل كلمة لها غرض، كان من الممكن أن ربنا يقول "فصنع لهم السد فما اسطاعوا أن يظهروه"، لكن شرح التفاصيل في الصنع في طريقة السد لأن أحيانًا حين يزيد الإيمان عند إنسان يتصور أن قضاء وقت في تفاصيل الدنيا يعارض جو الخشوع والإخبات والإنابة، لا هذا له وقت وهذا له وقت ولا تعارض.

لذلك من الآيات التي أحبها جدًا كانت في سورة سبأ {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ أن اعمل سابغات وقدر في السرد}[سبأ: 11] حيث وصفت الآية سيدنا داود

وهو في قمة الإيمانيات والجبال تأوب معه والطير ويسبح، والمشهد الثاني وصفته وهو يضع الحلقات في قمة الدقة ويقدرها لكي يكون الدرع متقنًا، أي من الممكن أن الإنسان يكون في ساعة قيام وخشوع وإخبات وإنابة وتسبيح وكأن الكون يسبح معه والساعة التي تليها يذاكر ويحفظ ومعادلات وبالتفاصيل هذا لا يناقض هذا طالما الهدف والقصد طاعة الله سبحانه وتعالى.

هذا لا يناقض هذا فشرح التفاصيل حتى لا يستنكر هذا فى كتاب المؤمن حتى لا يكون في صدره حرج من هذه الأمور الدنيوية بالعكس هذا مذكور في كتابك منصوص بتفاصيله في كتابك.

{فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ} النتيجة النهائية {أَن يَظۡهَرُوهُ} لم يستطيعوا، لذلك قيل أنها جاءت من غير التاء وأن زيادة المبنى يدل على زيادة المعنى هذا كلام ابن عاشور.

{فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وما ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبا} لم يستطيعوا أن يقفزوه ولم يستطيعوا أن يحفروه، واختلف في مكان السد وهل كُسر أم لا، وكل هذا كما قلت لكم أنا أرى أن نترك علمه إلى الله سبحانه وتعالى، نحن عندنا في آخر الزمان يوجد أحداث يأجوج ومأجوج، وعندنا أنه كان يوجد ملك اسمه ذو القرنين وعمل سدًا، هذا ما عندى –الحقائق الثابتة– أما التفاصيل التي بعد ذلك الله أعلم بمثل هذه الأماكن والتفاصيل والمناقشات، وأنا ذكرت لكم الكتب فمن أراد أن يستفيض فليرجع لها.

لما صاحب الجنتين المشرك دخل جنته وهو ظالم نفسه أول ما رآها {قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدا} لا يمكن هذا جهد سنين تعبت فيه، أما ذو القرنين لما تعب فى السد –هو حقيقة تعب والناس تعبوا– أول ما رأى السد {قَالَ هَٰذَا رَحۡمَة مِّن رَّبِّيۖ} ربنا الذي عمله ولست أنا، ولذلك المؤمن قال للمشرك قل {مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ} ربنا الذي عمله وليس أنت، أنت تتعب في الأكل وتأكل وبعد ذلك تقول الحمد لله الذي أطعمني هذا هو الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة.

قال ذو القرنين: {قَالَ هَٰذَا رَحۡمَة مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي}، أما صاحب الجنتين قال: {قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدا}، هنا يقول {جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّا}

هنا الفارق بين نظرة المؤمن لإنجازاته ونظرة الكافر لإنجازاته، الكافر لا يرى الله سبحانه وتعالى في أي شيءٍ في هذه الدنيا لكن المؤمن يرى الله سبحانه وتعالى في أفعاله وفي حياته وفي تفاصيل تفاصيل حياته.

بعد ذلك {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ}

انتبهوا معي في {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ} **من أسباب الخلاف بين المفسرين عود الضمائر**، ف "هم" المذكورة في "بَعْضَهُمْ" ترجع على من؟ و "يومئذٍ" أي يوم هذا ومتى؟ "وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ " من البعض الثاني؟

لو نحن عرفنا الضمير في "بَعْضَهُمْ" يعود على من، وعرفنا متى هذا اليوم في "يومئذ"، وعرفنا البعض الثاني في " يَمُوجُ فِي بَعْضٍ"، سنعرف الخلاف الذي في الآية.

تعالوا نذكر **أول قول**: لو قلنا {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ} تعود على القصة التي قبلها وهي عن يأجوج ومأجوج، فتكون {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ} أي يأجوج ومأجوج، وإن كان الطبري رفض هذا القول، لكن سنشرحه لأنه قول مشهور واختاره كثير من المفسرين ابن كثير والبقاعي وغيره.

إذًا {بَعْضَهُمْ} إما يأجوج ومأجوج أو أنهم كل البشر، لو قلنا أنهم يأجوج ومأجوج، فالسؤال في {يَوْمَئِذٍ} هل هو يوم بناء السد أم أنه يوم هدم السد؟ فذو القرنين كان فرحانًا بلحظة البناء {قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي} وفي نفس الوقت قال أنه سيأتي يوم ويهدم {جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ}، فهل {يَوْمَئِذٍ} هو يوم البناء؟ أي تركنا بعضهم يوم البناء يموج في بعض، أم {يومئذ} هو يوم الهدم؟ أي تركنا بعضهم يوم الهدم يموج في بعض.

{وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ} أي وتركنا بعض يأجوج ومأجوج {يَوْمَئِذٍ} فلنقل أنه يوم هدم السد لأن آخر شيء ذكر قبلها {جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ}، أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم هدم السد يموجون في بعض الناس يفسدون في الأرض حتى يأتي وعد الله.

إذًا هذا القول الأول وهذا اختاره ابن كثير يختلطون بالناس بالفساد.

وآخرون قالوا هو للتو بنى السد ولم يكن هُدم بعد {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ} أي بعض يأجوج ومأجوج {يَوْمَئِذٍ} أي يوم اكتمال السد يموجون في بعضٍ، يختلطون مع بعضهم، هم يتناسلون ويعيشون مع

بعضهم ويفسدون مع بعضهم البعض مختلطين مضطربين منتظرين لحظة فتح السد –**وهذا القول الثاني**–

.

وقيل لا، الموضوع ليس له علاقة بيأجوج ومأجوج، الموضوع له علاقة بيوم القيامة، وإن وجمع الناس وتركنا الخلق كلهم {يَوۡمَئِذٖ} أي يوم القيامة يموج بعضهم في بعض وهذا اختيار الطبري واستحسنه القرطبي –**هذا القول الثالث**–.

{وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ} فكما قلنا أن هناك مشاكل حلها المواجهة، نحن قد نستغرب ما عمله ذو القرنين وهو ما يمكن أن نسميه في تعبير القرآن {حَتَّىٰٓ يُنۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ} أي ليس مجرد جهاد وينتهي الأمر، لا، الإثخان في الأرض حتى تضع الحرب أوزارها، **متى تضع الحرب أوزارها؟**

قيل بخروج يأجوج ومأجوج، أي إلى قبل يأجوج ومأجوج، أنت تقاتل الدجال حتى ظهور يأجوج ومأجوج، فبظهورهم ينتهي القتال.

كما في هذا الحديث –بالنسبة لمن صححه– لما جيء للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لا جهاد (قال كذبوا الآن الجهاد)[4] وفي رواية (لا تضع الحرب أوزارها حتى يخرج يأجوج ومأجوج)[5] هنا سيحرز العباد إلى الطور مع عيسى عليه السلام ولا قتال وكانت آخر لحظة قتال بقتل الدجال.

{وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ} عرفنا الثلاثة أقوال بحسب من المقصود ببعضهم ومتى يومئذٍ ومن يموج في بعض.

---

[4] كنتُ جالسًا عندَ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ أذالَ النَّاسُ الخيلَ ووضعوا السِّلاحَ وقالوا: لا جِهادَ قد وَضعتِ الحربُ أوزارَها فأقبلَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّمَ بوجهِهِ قال: كذبوا الآنَ ، الآنَ جاءَ القتالُ، ولا يزالُ من أمَّتي أمةٌ يقاتِلونَ على الحقِّ، ويزيغُ اللَّهُ لَهم قُلوبَ أقوامٍ، ويرزقُهم منْهم حتَّى تقومَ السَّاعةُ وحتَّى يأتيَ وعدُ اللَّهِ، والخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامَةِ، وَهوَ يوحي إليَّ أنِّي مقبوضٌ غيرُ ملبَّثٍ، وأنتم تتَّبعوني أفنادًا يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، وعقرُ دارِ المؤمنينَ الشَّامُ

الراوي : سلمة بن نفيل السكوني | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح النسائي | الصفحة أو الرقم: 3563 | خلاصة حكم المحدث : **صحيح**

[5] رواه النسائي

{وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ} هذا الملك العظيم ينفخ في الصور حنى جبهته ينتظر الإذن من الله سبحانه وتعالى، قالوا يا رسول الله ماذا نقول؟ قال (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[6].

{فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا (99) وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا} الذين كانوا ينكروها.

انتبهوا نحن في ختام السورة، السورة مليئة بالفتن والشهوات والإعراض عن آيات الله سبحانه وتعالى مليئة بالأقدار العجيبة، {وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ} هنا تتضح الصورة في النهاية، {جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا} أول ما يراها: هذه النار لها سبعون ألف زمام مع كل زمامٍ سبعون ألف ملك يُلقى فيها الحجر يستمر لأكثر من سبعين سنة ليبلغ القاع كيف كنت غافلاً عنها؟ كيف؟! هذا المخلوق العظيم لها زفير، المخلوق العظيم المرعب، والصراط كيف كنت غافلاً عن هذا؟!

يخبرنا الله سبحانه وتعالى أن هذه الغفلة بسبب الفتن والشهوات والشبهات التي صنعت غطاءً، تراكم الشهوات والشبهات يعمل غطاء يمنع الإنسان أن يرى الآيات، سورة الكهف مليئة بالآيات، مثل قصة أصحاب الكهف {أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا}

آيات ربنا عجيبة جداً، المشكلة –وقلت هذا سابقًا– ليست في قلة الآيات المشكلة في الغطاء، {لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا}[ق: 22] سورة قاف –على القول بأن الخطاب للكافر– {فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ}[ق: 22] هذا الغطاء الذي كُشف في سورة قاف، كانت أعينهم في هذا الغطاء في الدنيا في سورة الكهف.

{ٱلَّذِينَ كَانَتۡ} انظر إلى تعبير القرآن ربنا لم يقل "الذين كان على أعينهم غطاء" وإنما قال {كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ} فما الفارق بينهما؟ الفرق أن "في" هنا حرف إحاطة، أي لم يكن مجرد غطاء يوضع على العين وإنما غطاء يحيط بالعين كأنه وعاء لعينه.

---

[6] "أذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل"
الراوي: أبو هريرة | المحدث: السيوطي | المصدر: الجامع الصغير | الصفحة أو الرقم: 891 | خلاصة حكم المحدث: **ضعيف**

{كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ} هذا الغطاء قد يكون شهوات قد يكون والعياذ بالله شبهات، زنا أيًا كان، فكل ما يصرف الإنسان عن ذكر الله سبحانه وتعالى هو من هذا الغطاء، المشكلة أن الناس تترك هذا الغطاء يستحكم على العين حتى لا يستطيع أن ينزعه.

الطبري له كلام جميل، ارجعوا له في شرح هذه الآية.

{كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ} عن ماذا؟

"عن" يسمى حرف تجاوز، أي لم يكن يتمكن من سماع ذكري {كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عن ذِكْرِى}.

{ذِكْرِى} أي: تذكيري بالآيات الكونية والآيات القرآنية، فكان لا يرى آيات القرآن ولا آيات الكون.

هل أنت متخيل كم الآيات التي ينكرها الملحد في الكون! كم {كل يومٍ هو في شأن}! [الرحمن: 29]

كم الآيات اللحظية المتكررة يوميًا إلى يوم القيامة وهو ينكرها! هل أنت متخيل!

خلاياه تتجدد يوميًا، كرات الدم الحمراء وكرات الدم البيضاء التي تسير في جسده، والجلد والكلى والقلب، والشمس والقمر والنبات.. كم من آيات كان في غطاء عنها؟! لا يراها! كل ما يقوله لك هو: أين ربنا؟ ولا يرى كل هذه الآيات.

تعالى الله عما يشركون!

{كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}:

المفسرون لهم إبداعات في شرح معنى {وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}.

قيل: لاشتغالهم أو لانشغالهم بالكفر، فهو مشغول..،

كنت قد أخبرتكم في بداية السورة تقريبًا، أنك تدخل على الأولاد، فتجدهم يلعبون أو يشاهدون التلفاز، وأنت تناديهم لكنهم لا يسمعونك، هل معنى {وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا}: أنه لا يسمع؟ لا، بل هو يسمع! لذلك **اختلف المفسرون**:

- هل {كَانُوا لَا يَستَطِيعُونَ سَمعًا}: لانشغالهم بالكفر؟ وهذا اختيار الطبري.
- أم بسبب الختم الذي وقع على سمعهم وقلوبهم فأصبحوا لا يستطيعون السماع؟ وهذا الذي اختاره الشنقيطي في تفسيره، فقد مال لهذا القول في أضواء البيان.

لكن أنا يمكن أن أقول: ولماذا ختم؟

فكان الختم بسبب انشغالهم بالكفر؛ فالقولين يؤدون إلى أمر واحد. أنا أرى أنه يمكن ألّا يكون هناك خلاف في القولين؛ فكلاهما يؤديان إلى نفس الأمر {وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا}.

{أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ}:

كما ذكر ربنا مع الشيطان في التعقيب على قصة صاحب الجنتين.

{أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ} قيل أنه يوجد محذوف هنا: أي {أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ} ثم لا أعاقبهم؟ كلا، إني أعتدت لهم جهنم.

هذا هو سياق الآية: أفحسب الذين كفروا أن يشركوا ويتخذوا عبادي من دوني أولياء ثم أتركهم ولا أعاقبهم؟ كلا.

{أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ} وقيل: ثم ينفعوهم، أي أنه معتقد أنه يتخذ أولياء؛ فينفعه هؤلاء الأولياء، كلا.

{إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا}

{نُزُلًا} **قيل**: هو الذي يُعدّ للضيف، **وقيل**: المكان، أي أن في هذا نوع من السخرية والاستهزاء.

يا لها من حسرة، أن يعطي الإنسان عمره لغير ربنا، ثم يفاجأ يوم القيامة بجهنم المعروضة أمامه.

ولذلك، بعد هذه الحسرة يقول ربنا لنا: {هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا}

انتبهوا أن الآيات في النهاية مليئة بالأعمال: {بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا}، {ضَلَّ سَعْيُهُمْ}، {يُحْسِنُونَ}، {صُنْعًا}.. هل تلاحظون هذه الكلمات؟ هذا يعني أن هؤلاء الناس كانوا يعملون، أنهم لم يكونوا جالسين دون أن يقوموا بأي عمل، بل كانوا يتعبون في الدنيا.. كل الناس يغدوا، كل الناس يتحركون، لكن المشكلة يعملون لمن؟

فجهد ذي القرنين يوجد من الناس من بذله في الباطل. جهد موسى عليه السلام في طلب العلم يوجد من الناس من بذله في طلب الباطل {يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ} ليس عملًا، بل {أَعْمَٰلًا}! كانوا يعملون، كانوا يصنعون {يحسبون أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا}، كانوا يسعون {ضَلَّ سَعْيُهُمْ}..

لذلك، لما تكلمنا سابقًا في سورة محمد، ذكرنا أن السورة مليئة بكلمة "أعمال" للفريقين؛ هؤلاء يعملون وهؤلاء يعملون..

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا}: ما الذي يجعل الناس يعملون، ويدخلون النار؟

{ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}

لماذا؟ لماذا يمكن لشخص –والعياذ بالله– أن يستمر في الوهم؟

انتبهوا يا إخوة، يوجد من يستغرب أمرًا كهذا؛ فيقول لك: كيف يتركه الله عز وجل؟

لا، الله سبحانه وتعالى {وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم} ماذا؟ {مَّا يَتَّقُونَ}[التوبة: 115] ؛ ربنا يبين له ويوضح له، مرة ومرتين وثلاث مرات، وهو يصرّ؛ فهنا يوجد سُنَّة أخرى، وهي سُنَّة {نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ}[النساء: 115]، سُنَّة {فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ}[الليل: 11]؛ فطريق النار سيُمهّد لك، طالما أنك اخترت.

لقد أعرض مرارًا وتكرارًا؛ فيزين له الباطل، فيسير فيه ويظن أنه يحسن صنعًا..

كالآثار المروية عمّا كان يقوله أبو جهل قبل غزوة بدر، كان يقول: "اللهم من كان أقطعنا للرحم.. فأحنه الغداة واقتله".

سبحان الله! هل أنت واثق بنفسك لهذه الدرجة! أنا أتعجب أثناء قراءة هذه الآثار، هل أبو جهل يتظاهر –مثلًا– لكي يكسب قوة؟ أي، أنه كان يريد أن يعيطيهم قوة دافعة كي يجاهدوا مثلًا؟ أنا لا أفهم!

أم أنه كان بالفعل واثقًا بنفسه؟ هل يوجد ناس تظن إلى هذه الدرجة!

{وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا}

أحدهم يقول: "أنا خائف من أن أكون مثلهم"، فهذا جيد.

من هم هؤلاء؟

هؤلاء هم الذين غفلوا عن أمرين، وهذان الأمران هما المذكوران في آخر السورة.

ما هما هذان الأمران؟

هما: آيات الله، ولقاء الله.

في آخر السورة: آيات الله {قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا..}

لقاء الله {فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ}.

آخر آيتين في السورة هما عن:

- آيات الله التي لا تنفد. فلا يمكنك أن تقول لي أنك لا تجد شيئًا يذكرك! فآيات الله لا تنفد.

آيات الله الكونية والقرآنية لا تنفد، معاني آيات القرآن لا تنفد.

- وبالتالي، من كان يرجو لقاء الله؛ فليعمل.

هذا هو **ختام السورة**، الآيات واللقاء.

هنا {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ} انتبه! الغفلة عن آيات الله وعن لقاء الله تجعل الإنسان يسير في الوهم، ويظن أنه يحسن صنعًا.

{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ} أول مرة أنتبه لتكرار كلمة "الأعمال" في السورة، أعمال هنا، وسعي، وأعمال مجددًا، وصنعًا..

الحبوط –ارجعوا له في كتب اللغة–: هو الشيء الذي ينتفخ، ويُظَن فيه الخير، فهو يكبر ويتزين، وفي النهاية يسقط..

{ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ} يا الله!

{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا}؛ لذلك اختلف العلماء: هل المعنى أن من حقارته لا يوزن؟ أم أنه يوزن فيكون خفيفًا؟

يوجد خلاف هنا في وزن أعمال الكفار، هل أعمال الكفار توزن أصلًا، أم أنها لا تستحق؟

وذكر هذا الخلاف ابن حجر.

{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا * ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ} لاحظ أنهم لم يكفروا فقط، بل {وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا}.

{اتخذوا} أي أنه لم يستهزئ فقط، بل أصبحت صنعة وعملًا له! فهناك من يعمل بذلك، ويكسب مالًا منه.

{وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا}

{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ}:

طالما يوجد أعمال للباطل، فلابد أن يوجد أعمال للحق.

ما هي أعمال الحق؟

هي التي ذُكِرَت في السورة وفي غيرها، أنت يمكنك أن تكون من أصحاب الكهف، يمكن أن تكون المؤمن الفقير الذي ذهب إلى صاحب الجنتين يدعوه، يمكن أن تكون طالب العلم مثل سيدنا موسى، يمكن أن تكون ذا القرنين، يمكن أن تكون من جنود ذي القرنين..

لقد قرأت مقالة جميلة جدًا بعنوان: "المسلم العادي" أو "المحارب العادي"، –هذا الموضوع كان يشغلني، وقد أعطيت درسًا عنه، هو: "عادي أم خارق"–. أعجبتني جدًا التفاتته حيث يقول: المسلم العادي سابقًا كان هو الذي يكون فى المعركة ولا يذكر اسمه، هو الذى كان يمشي بالصدقات ولا يُعرَف.. – مقالة قديمة لكن فكرتها أعجبتني جدًا–

فالعادي هو الذي يعمل لكن ليس بالضرورة أن يشتهر.

يقول أحدهم: نحن حينما نقول غزوة اليرموك، القادسية، يمكن أن نستذكر خالد بن الوليد، عمرو بن العاص.. ولكن أين أسماء الجنود؟ يعلمهم الله سبحانه وتعالى.

هذا هو الذي يمكن أن نسميه العادي.

{إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا}:

الفردوس لم تذكر في القرآن إلا في سورة الكهف، وفي سورة المؤمنون.

في الأصل يا إخوة، لو قرأ أحد سورة الكهف مرة واحدة في جلسة واحدة مع معايشة أحداثها؛ يمكن فعلًا أن يلهث –أي لا يلتقط الأنفاس–، من الممكن أن تكون الفترة الوحيدة التي يرتاح فيها هي فترة أصحاب الكهف حينما ناموا، وحتى هذه الفترة فيها حركة الشمس أثناء نومهم، وما إلى ذلك، فتجد نفسك

تذهب مع أصحاب الكهف، وتدعو، ثم يقومون، ثم تمشي مع صاحب الجنتين وتتكلم وتدعوه، ثم تأتي الصاعقة، وبعد ذلك فور وصولك لقصة موسى تجده منطلقًا مع يوشع بن نون، ويصل، ثم فور وصوله إلى الخضر وينطلق معه، وبعد ذلك تنهي رحلة تلو الأخرى من رحلات الخضر، ثم ما أن تنوي أن تجلس وترتاح، تجد نداءً لك إلى مغرب الشمس، ثم إلى مطلع الشمس...الخ.

فالسورة كلها حركة!

هكذا المؤمن، الأفكار عند المؤمن يا إخوة ليست لمجرد المتعة الفكرية، لا، بل الأفكار محركات.

الأفكار عنده محركات، فالمبادئ التي يعتنقها تحركه {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا}[الأنعام: 122] أول ما وُفِّقَ لهذا النور {يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ} على الفور! لماذا يقعد؟ {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ}[المزمل: 1] {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ} [المدثر]..

أنا أريدك أن تقف وحدك وأنت تصلي قيام الليل واقرأ آيات المدثر بصوت عالٍ، لكن كأنك تقرأها على نفسك: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (7)}[المدثر: 1-7] تخيل هذه البدايات، بدايات طلقات، بدايات سريعة؛ قم وتحرك!

فهل أنت متخيل الحركة العظيمة في سورة الكهف؟ هؤلاء {كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا}.

هنا الراحة: كلمة {لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} أي، لا يريد أن يتحرك من هنا! هو تحرك في الدنيا كثيرًا! هو وصل للمكان الذي كان يسعى إليه!

فكلمة {لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} فيها بالنسبة لي نوعًا من التقابل مع حركة السورة السريعة، وفيها استقرار في آخر السورة، فلا يريد أن يقوم من هنا.

بعد ذلك نأتي إلى آخر آيتين، وهما ختام هذه السورة.. فذُكِرت في الآيات المئة والثمانية القصص مع التعقيبات مع الجزاءات..

التوجيه النهائي: سورة الكهف كلها غريبة!

فقصة أصحاب الكهف لم تذكر في غير هذه السورة، وهي آيات عجيبة.

صاحب الجنتين قد يكون ذُكِر بإشارة فقط -على أحد الأقوال- في سورة الصافات.

موسى والخضر من أعجب ما ذكر! رغم أن القرآن مليء بقصة سيدنا موسى، إلا أن قصة موسى والخضر لم تذكر إلا في الكهف.

ذو القرنين لم يذكر إلا في الكهف.

كانت أسئلة غريبة وتدعو للتساؤلات، وكانوا يذهبون يستشكلون ويسألون النبي صلى الله عليه وسلم..

التوجيه: إياك أن تظن أن هذه من آيات الله عجبًا!

{قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي}:

قرأت كلمة جميلة جدًا للشيخ النابلسي، يقول: لو أن أحدنا يريد أن يكتب، كم سيحتاج من الحبر؟

لو أردت أن أكتب طوال عمري، لو أردت أن أكتب في الشهر عدة كتب؛ فكم دواية حبر سأحتاج؟

فيقول: من الممكن أن تستمر طوال عمرك –ستين سنة– وأنت تكتب، وتحتاج حبرًا بحجم الغرفة – مثلًا– وهذا لو كنت شخصًا نشيطًا.

هل تعلم ما معنى أن تحتاج بحرًا من الحبر؟

لو قلنا أن البحر هنا معناه كل الماء –الذي يشكل ثلاثة أرباع الكرة الأرضية–، وتمده البحار، وأنت تكتب علم الله، والآيات المستنبطة من الوحي، والآيات المبثوثة في الكون، والآيات المستنبطة من القرآن، فتكتب وتكتب، ولا تنتهي..

لنفد البحر وتكسرت الأقلام قبل أن تنفد كلمات ربك. علمه: {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ}[البقرة: 255].

{وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ} بمثل البحر {مَدَدٗا}، الختام: أنا أتيتكم بهذا، ولم آتِ به من عندي {قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ} والفارق بيني وبينكم كان في الوحي؛ فقد كان يسمى صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين، وحينما نزل عليه الوحي أصبح محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

{إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ} هذا هو الفارق، فمن أعرض عن الوحي قد أعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم.

{يُوحَىٰٓ إِلَيَّ}: ماذا؟

حينما أراد النبي صلى الله عليه وسلم هنا في الختام أن يذكر شيئًا واحدًا محوريًا، ماذا كان؟ **التوحيد**.

-للأسف لقد أطلت كثيرًا، وسأختم- كنت أتمنى أن أحدثكم عن مركزية التوحيد في القرآن، فقد كنت اقرأ كتابًا للشيخ المعلمي اليماني: "رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله"، أضاء لي هذا الكتاب أن قضية التوحيد مبثوثة في القرآن، ونحن غافلون عنها!

التوحيد يا إخوة -وهذا خارج الكتاب- التوحيد قوة محركة، قوة بعثت أمة!

لكن نحن حوّلنا التوحيد لجدالات كلامية!

لما استقر التوحيد في قلوب الصحابة أدى إلى حالة من البعث، أمة نشرت التوحيد..

لما استقر التوحيد في قلب ذي القرنين جعله يذهب إلى مغرب الشمس ومشرقها؛ من أجل نشر التوحيد!

فحينما تقرأ مقدمة الظلال لشرح سورة نوح؛ تجدها بديعة، يقول فيها: تسعمائة وخمسون سنة! من أجل ماذا؟ من أجل التوحيد، ويستحق أكثر من ذلك! ويستحق من أعمارنا أكثر من ذلك.

{يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ}:

قضية التوحيد قضية محورية لا يصلح أن تغيب عننا.

{فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ}: هذا الإله الواحد، من عاش معه تمنى لقاءه {يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَمَن كَانَ} ماذا؟ {يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ}؛ فأنت حينما تعيش مع التوحيد، تتمنى أن تقابل ربنا، ترجو لقاء الله.

ماذا أفعل لكي أرجو لقاء الله؟ لم يقل "فليتمنَّ" بل {فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا}، وليس أي عمل بل {صَٰلِحٗا}.

كما لديهم أعمال، {فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا}.

{وَلَا} أي لا يضيع هذا العمل؛ لذلك قال كثير من المفسرين: {وَلَا يُشۡرِكۡ} أي: الرياء. إياك أن تضيع عملك!

{مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ}[الأنعام: 160، النمل: 89] كيف تتمكن من فعل الحسنة وتصل بها سليمة لربنا؟ أي أنك ذاهب "بالحسنة"، سترنا الله، ممكن أن يضيع درس كهذا! رياء! نسأل الله أن يحفظنا..

{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ}:

إياك! كن سلمًا لرجل.

إياك أن تدخل مؤثرات كثيرة إلى داخلك.

كان للطريفي كلمة رائعة، يقول: أي أحد يمسك بالقلم قد يلتفت -يريد أن يرضي فلان أو فلان-، اجعل وجهتك لله سبحانه وتعالى.

{فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا}:

هذه أعظم قوة محركة في الأرض: التوحيد، وتمني لقاء الله سبحانه وتعالى. هذه أعظم قوة مذكرة تذكرك؛ حتى لا تحيد عن وجهتك، حتى تصل إلى الأعلى. هذه أعلى قوة محركة تصل بك إلى الفردوس -أعلى مكان- عند عرش الرحمن -سقفه عرش الرحمن-. للأسف، انتهى بنا الوقت.

اقرؤوا كثيرًا عن مكان الفردوس، عن أحاديث الجنة، اقرؤوا كثيرًا عن النار؛ لكي نخاف. نحن محتاجون لأن نعيش مع الدار الآخرة {فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ}، محتاجون لأن نستشعر آيات الله ولقاء الله، آيات الله مبثوثة في الكون وفي القرآن، ولقاء الله، الصراط، الحوض وشربنا من يد النبي صلى الله عليه وسلم...الخ. عيشوا هذه المعاني..

بفضل الله منّ الله سبحانه وتعالى علينا بفضله وكرمه وجوده ورحمته وختم لنا بفضله سورة الكهف، بفضل الله سبحانه وتعالى، دعواتكم بالتيسير.

ننتقل إلى جنة أخرى وبستان آخر مع سورة أخرى من كتاب الله سبحانه وتعالى.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.